

# أفكار أساوت إلى الشيعة

الشيعة أنها تمثل المعارضة لأهل السنة في بعض الأمور، وأن تلك المعارضة -أو الاختلافات- كانت إغراء لأصحاب الديانات الأخرى الذين دخلوا في الإسلام - نفاقاً - لأنهم وجدوا أنهم بانضوائهم تحت عباءة الإسلام يستفيدون أكثر.. ووجدوا في اختلافات الشيعة منفذاً لدس أفكارهم وعقائدهم التي كانت في حقيقتها غريبة على الشيعة.. وغريبة على الإسلام! ولكنهم- بعد ذلك- أصبحوا محسوبيين على الإسلام، ومحسوبيين على الشيعة، وصار كل من يريد الهجوم على الشيعة أو على الإسلام يستشهد بأقوالهم. ومع أن معظم هذه الفرق اندثرت، ولم يعد لمعظمها وجود في الوقت الحالى، وما بقى منها ليس سوى مجموعات صغيرة وهامشية ومرفوضة من التيار العام للشيعة، وليس لها مكان بينهم بأية حال من الأحوال. إلا أن البعض ينقب في الكتب القديمة لإحياء أفكارها وتقديمها وكأنها أفكار الشيعة اليوم.

يذكر المؤرخون القدامى كيف دخل المتطرفون من الديانات الأخرى في الإسلام، وينقل الدكتور على سامى النشار عن كتاب ابن أبى الحديد (شرح نهج البلاغة).. كيف أن العرب قبل الإسلام كانت فيهم جماعات تعتنق بقايا دين إبراهيم، وكان هناك أقوام من العرب دخلوا فى اليهودية، ودخل آخرون فى الديانة النصرانية، وتزندق منهم قوم فقالوا بالثنوية (أى الثنائية: إله للخير وإله للشر) وقد تزندق حجر بن عمرو الكندى، ويعلق الدكتور النشار على ذلك بأن الثنوية إذن كانت موجودة فى قبيلة كندة، وقد سكنت قبيلة كندة بعد ذلك الكوفة، وفى هذه القبيلة نشأ الغلو الشيعى، وكان أخطر الزنادقة أبو سفيان الأموى عدو الإسلام

العنيد، بل إن مسيلمة المتنبئ الكذاب تأثر بالثنوية أيضا، وقد طاف مسيلمة في الأسواق حيث كانت تعرض مختلف الأفكار والعقائد والملل، وكانت الأسواق في ذلك الزمان مثل حديقة هايد بارك البريطانية الشهيرة التي تعتبر ساحة مفتوحة يقول فيها كل من يشاء كل ما يريد دون حرج أو خوف.

وفي الكوفة أيضا سكن كثيرون ممن ارتدوا عن الإسلام، ثم عادوا وأسلموا، وبعضهم انضم إلى مسيلمة الكذاب، وتبعوه على أنه نبي (!)، وباختصار فإن الأفكار والعقائد والملل الغربية الشاذة كانت موجودة على رغم انتشار الإسلام والمسلمين.. بل إن الزندقة والسحر والمجامع السرية كانت موجودة، وإلى جانب هؤلاء كان أصحاب الديانات الأخرى يرقبون بكرهية سيادة العرب القادمين من الصحراء بعقيدة بسيطة وسهلة يسيطرون بها على الأكاسرة والقيصرة، فماذا يُنتظر منهم؟.. لقد انتظروا كل فرصة لتمزيق صفوف المسلمين وتفريق كلمتهم، وكان النزاع بين الأمويين والهاشميين فرصتهم، وكانت بداية الغلو في عقائد الشيعة غلوا في الحب أنتج الأساطير حول الإمام عليّ وأبنائه، وبعد ذلك انقسم شيعة أهل البيت إلى عدة أقسام مثل غلاة الهاشمية: أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية. وغلاة الإمامية: أتباع أبناء السيدة فاطمة الزهراء (الحسن والحسين)، وغلاة الجعفرية: أتباع جعفر بن أبي طالب. وغلاة العباسية: أتباع أبناء العباس بن عبدالمطلب (عم الرسول ﷺ). والأساطير التي نسجوها حول هؤلاء لم تكن سوى تكرارا لما في الديانات والعقائد والملل الأخرى التي كانت موجودة قبل الإسلام. ويقول الشهرستاني في كتابه الشهير (الملل والنحل): الغالية هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فرموا شبهوا واحدا من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير.. ويفسر ذلك بقوله: وإنما نشأت تشبيهاتهم من مذاهب الحلولية (أى

أن يحل الإله في إنسان) ومذاهب التناسخية (أى أن تحل روح إمام في إمام بعده)، ومذاهب اليهود، إذ لليهود شبهت الخالق بالخلق، وفسرت هذه المشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الألوهية في حق بعض الأئمة، ثم انتقل التشبيه والتجسيم إلى فريق من أهل السنة والجماعة)، ثم يعدد الشهرستاني بعض فرق من غلاة الشيعة في عصره، ومنها فرق غريبة لم يعد لها وجود في عصرنا على الإطلاق، ويرى أن فكرة التناسخ بين الأئمة التي يؤمن بها بعض غلاة الشيعة مصدرها المجوس وهى موجودة فى الديانة المجوسية، ومصدرها أيضا البراهمة فى الهند والصابئة، والفلاسفة، وهؤلاء قالوا: إن الله بكل مكان، ناطق بكل لسان، ظاهر فى كل إنسان، وهذا هو مذهب وحدة الوجود..

□□□

هنا نصل إلى النقطة الأساسية للخلاف بين أهل السنة والشيعة، وإلى النقطة الأساسية التى تفصل بين الشيعة المعتدلين وغلاة الشيعة، وهى فرق تجاوزت حدود الشريعة باسم الشريعة، وأسأت إلى الشيعة باسم الشيعة، وأصبحت محسوبة على الشيعة، ويحلو لكثير ممن يتناولون أمور الشيعة أن يستعرض الآراء الغريبة لهؤلاء الغلاة، ويظن - أو يعمل ماكرا على الادعاء - بأن هؤلاء هم الشيعة، والحقيقة أن هؤلاء أساءوا إلى الشيعة وإلى الإسلام.

فلن يعارض أحد فى اتجاه الشيعة عموما إلى الغلو فى حب الإمام على والحسن والحسين وآل البيت عموما ونسلهم إلى يومنا هذا، ولكن المعارضة تبدأ عندما تنسب بعض الفرق من غلاة الشيعة النبوة أو الألوهية إلى واحد من هؤلاء، أو القول بأن الله اختصه بالعلم بما كان وما سيكون، والله أخبرنا بأنه هو وحده الذى يعلم الغيب، فإذا قيل إن الأئمة أيضا يعلمون ما كان وما هو كائن وما سيكون فى الغيب فإن ذلك ليس إلا من سعى جماعات أو فرق علنية وسرية لها هدف خبيث

لهدم عقيدة الإسلام الصحيحة، وتمزيق الكيان الإسلامي، وإشعال الخلافات بين المسلمين، بحيث تبقى الفتنة على مر السنين تشغل المسلمين عن أمور دينهم وديارهم، أما الشيعة المعتدلون فهم موضع احترام أهل السنة، ولم يستنكر علماء أهل السنة والجماعة حركة التوايين من الشيعة.. بل إن الإمام الأكبر أبا حنيفة النعمان عالم الإسلام كان يؤيد الإمام زيد بن علي في خروجه على بني أمية وكان يمدّه بالمال والمساعدة، ولم يكن أبو حنيفة شيعياً.. بل كان أكبر أئمة السنة، كذلك كان الإمام الشافعي وهو أبعد الناس عن التشيع يقول:

لو كان رافضاً حب آل محمد فليعلم الثقلان أني رافض

وهكذا - كما يقول الدكتور النشار- فإن حب آل البيت لا ضير فيه، ولكن الغلو هو الذي أدى إلى تمزيق المجتمع الإسلامي، وأدى كذلك إلى أخطر النتائج في تشويه صورة عقائد الشيعة، وأعطى لأعدائهم الفرصة للحرب عليهم.

□□□

ولمن أراد أن يعرف كل شيء عن الفرق المتطرفة والمشبوهة التي انتسبت للشيعة، والتي يستشهد بآراء بعضها الذين يهاجمون الشيعة، فإن في كتاب الدكتور علي سامي النشار (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - الجزء الثاني - عن نشأة التشيع وتطوره) الكثير.. وطبعاً هناك أشهر كتاب عدائي للشيعة هو كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني الذي يأخذ أعداء الشيعة منه أقوال الغلاة والمتطرفين من فرق الشيعة وينسبونها إلى جميع فرق الشيعة دون تفرقة بين فرق الشيعة المغتدلة وفرق غلاة الشيعة وبين الفرق القائمة الآن والفرق المنقرضة.

من أمثلة غلاة الشيعة: غلاة الكيسانية الذين ابتدعوا تفسير القرآن بأفكار شبيهة بأفكار الملل الوثنية والديانات الأخرى، وهم الذين ابتدعوا فكرة العلم السري بالغيب الذي يتميز به نسل الرسول ﷺ، وهم أيضاً الذين ابتدعوا فكرة الرجعة



أى رجوع الأئمة إلى الحياة مرة أخرى، وذلك عندما مات إمامهم أبو هاشم بن محمد الحنفية وأعلنوا أنهم (فى التيه) لا إمام لهم ولا مرشد، وأن الإمام علياً أوصى بالإمامة إلى الحسن، والحسن أوصى إلى الحسين، وأوصى الحسين إلى محمد الحنفية، فكان كما يقولون: هو (العلم والمقنع) ثم انتقلت الإمامة إلى ابنه عبد الله أبى هاشم، ولم يكن له أبناء، فلما مات دون أن يوصى بالإمامة لأحد من أهله قال أنصاره: إن الإمامة عادت إلى أبيه الميت الذى سيعود حياً ويساعد الناس على الخروج من التيه الذى هم فيه، وفكرة أنهم فى التيه هى من وحى اليهود، وهم أول من قالوا بأنهم فى التيه وظلوا يؤمنون بذلك ويرددونه حتى العصر الحديث، وفكرة اليهودى الثائه معروفة ومشهورة، وهكذا قالت هذه الفرقة: إن (المهدى) لم يمت ولكنه اختفى، وأنهم بسبب غياب الإمام لا يجدون من يرشدهم إلى ما هو حق وما هو باطل، أو ما هو صواب وما هو خطأ، وبناء على ذلك قالوا بفكرة جديدة أشد غرابة هى (رفع التكاليف) أى التحلل من أوامر الشريعة ونواهيها إلى أن يأتى الإمام المرشد.

وقال هؤلاء: إن محمد بن الحنفية لم يمت، وإنه موجود فى منطقة تسمى (جبل رضوى) وعنده عين ينبع منها الماء وعين ينبع منها العسل يأخذ منهما رزقه، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر لحمايته من أعدائه، إلى أن يحين وقت خروجه وهو الإمام المنتظر. وهكذا ظهرت فكرة خلود الإمام وعودته.

كل هذه (التخاريف) لم تكن فقط كل ما يقوله أتباع هذه الفرقة من غلاة الكيسانية، ولكن ظهرت فيهم طائفة ثانية هى (الحريرية) أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى وهو من قبيلة كندة، وكان فى البداية من فرقة أبى هاشم ثم انشق، وادعى أن الوصية أخرجت أباً هاشم من الحق فى الإمامة وانتقلت إليه.

ومن أخطر الزنادقة الذين أسسوا الغلو الشيعى أيضاً أبو سفيان الأموى عدو الإسلام العتيد، وفى هذا العصر كان قد انتشر فى الكوفة السحر والزندقة

والمجامع السرية، وفيه أيضا ظهر العداء من أصحاب العقائد الوثنية للعرب القادمين من الصحراء بعقيدة بسيطة يملكون بها الممالك ويهزمون الأكاسرة والقيصرة، وهؤلاء المتربصون بالإسلام ظلوا في انتظار الفرصة لتمزيق الجماعة وتشيتت جهود المسلمين فيما لا يجدى ولا يفيد، ووجدوا فرصتهم في الخلاف بين أهل السنة والشيعة، أو بين الهاشميين والأمويين.

ومن الغريب أن يظهر في هذا العصر رجل مثل ابن سمعان التميمي ليروج لفكرة أن الإمام مقدس وأن وكيله في منزلة النبي (!) وأن الإمام يحل فيه جزء إلهي، ويروج أيضا إلى التفسير الباطني للقرآن، الذي يخرج عن ظاهر النص، ويضيف إليه ما ليس فيه، إلى حد أن ابن سمعان فسر قول الله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ (آل عمران آية ١٣٨) على أنه (أى ابن سمعان) هو البيان والهدى. وقال إنه مذكور في القرآن، وكان يردد (أنا البيان وأنا الهدى والموعظة)، وقد استمر هذا النوع الغريب من التفسير لدى بعض الفرق، واستمر في العصر الحديث عند البهائية والبابية. وقد أعلن ابن سمعان أنه نبي، وأرسل إلى الإمام محمد الباقر يدعوه إلى الإيمان بنبوته، ويقول له: (أسلم تسلم، فإنك لاتدرى أين يجعل الله النبوة والرسالة). وهكذا اشتد خطر هذا الرجل على العقيدة الإسلامية بعد أن اجتمعت طائفة من أهل الكوفة على الإيمان بمذهبه، إلى أن قتله حاكم الكوفة، وبعد مقتله ادعى أتباعه ألوهيته (!).

هذا الرجل هو الذى أدخل التفسيرات الغريبة للآيات التى يحلو للبعض أن يرددها على أنها أفكار الشيعة، والشيعة بريئة منها، مثل قوله إن روح الله دارت فى الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى الإمام على ثم إلى محمد بن الحنفية، ثم صارت إلى ابنه أبى هاشم، ثم حلت بعده فى ابن سمعان، وبذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة بما فيه من الجزء الإلهي الذى استحق به آدم سجود الملائكة (!) وبهذه

الأفكار تكونت (الفرقة السمعانية) التي يحسبها البعض على الشيعة. وهؤلاء هم الذين اخترعوا فكرة (الاسم الأعظم) وكان ابن سمعان يزعم أنه هو الذي يعرف (الاسم الأعظم) ويزعم أنه قادر على هزيمة الجيوش، وأنه يدعو الزهرة بالاسم الأعظم فتجيبه.

كل هذه أفكار بعيدة عن جوهر الإسلام وعن جوهر الشيعة، ومع ذلك فقد نسبت نفسها للشيعة، واتخذها البعض وسيلة للهجوم على الشيعة، والادعاء بأن هذه هي أفكار وعقائد الشيعة، وهذا غير صحيح.

□□□

حدثنا الدكتور النشار عن شخصية غريبة أخرى لا يكاد أحد يصدق أنه كان يتمتع بالعقل، اسمه أبو منصور العجلي المقتول في سنة ١٢١ هجرية، وكان فى بدايته من المقربين إلى الإمام محمد الباقر وكان يتقن اللغة الفارسية، وبعد وفاة الإمام محمد الباقر اختلف مع ابنه الإمام جعفر الصادق وأعلن نفسه إماما، وقال: إن آل النبي هم السماء، والشيعة هم الأرض، وأنه هو الصلة بين الاثنين، وقال أيضا: إنه عرج به إلى السماء فمسح الله على رأسه، وكلمه الله باللغة السريانية وقال له: (أى بنى، انزل فبلغ عنى) ثم أنزله الله على الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء كما جاء فى القرآن فى سورة الطور آية ٤٤: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ وادعى أيضا أنه هو (الكلمة).

وأعلن أن النبوة لا تنقطع أبدا وأنها متجددة دائما، وأن على بن أبى طالب كان نبيا ورسولا وكذلك الحسن والحسين، وعلى بن الحسين، ومحمد بن على، إلى أن تصل السلسلة إليه فهو أيضا نبي ورسول، وستكون النبوة بعده لأبنائه. وادعى أن الوحي يأتيه (!) وأن الله بعث محمدا ﷺ بالتنزيل، وبعثه هو بالتأويل،

ومن هذا التأويل قوله بأن الجنة التي ورد ذكرها في القرآن هي عبارة عن رجل أمرنا الله باتباعه هو الإمام، أما النار فهي رجل أمرنا الله بمعاداته هو خصم الإمام، واستمر في تأويل المحرمات التي ورد ذكرها في القرآن على أنها رجال أمرنا الله بمعاداتهم، وتأويل الفرائض كلها على أنها أسماء رجال أمرنا الله بموالاتهم، وأن من يظفر بالرجل (الإمام) ويعرفه، يسقط عنه التكليف، ويكون قد وصل إلى الجنة وبلغ الكمال (!) ويذكر عن هذا الرجل أنه استحل النساء والمحارم، وأحل ذلك لأصحابه، وزعم أن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر - وغيرها - حلال ولم يحرمها الله (!) وأنها في الحقيقة أسماء رجال حرم الله اتخاذهم أولياء، وادعى أن تأويل ذلك قوله تعالى في آية ٩٣ في سورة المائدة: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾. وبعد ذلك أعلن ما أسماه (الجهاد الخفي) وهو خنق وقتل كل من يخالفه في مذهبه، وقال لأصحابه: (من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي).

يقول الدكتور النشار: إن آراء أبي منصور العجلي هذا كان لها أكبر الأثر في مجتمع الكوفة في زمنه ثم في مجتمع الشيعة عامة، خاصة إعلانه فتح باب الوحي وعدم انقطاع الوحي بعد الرسول ﷺ، وأن الوحي متجدد والنبوة مستمرة لا تنقطع، ومهد بذلك لمذهب غلاة الإسماعيلية، ثم البهائية في العصر الحديث. كما أنه فتح باب التأويل الذي دخلت منه فرق عديدة، ونسخ الشريعة الإسلامية بالتأويل، وأقام المجتمع المتحرر المتجرد من كل الشرائع، ووضع فكرة المعراج الروحي، وأخيراً أعلن أنه هو (المسيح الثاني)! أما دعوته إلى خنق المخالفين له فقد أدت إلى قيام أتباعه بتكوين فرقة عرفت باسم (الخناقين). ولهذا قتله والى الكوفة، وبعده تولى ابنه قيادة فرقة الخناقين ونشر بها الذعر في العالم الإسلامي، وأعلن ابنه أنه هو أيضاً نبي واستجاب له عدد غير قليل إلى أن قتله الخليفة المهدي.

هكذا تسللت أفكار غريبة من عقائد وديانات مختلفة بعيدة عن الإسلام وتكونت فرق تؤمن بها، وصارت هذه الفرق محسوبة على الشيعة. والبعض يردد هذه العقائد الغريبة على أنها عقائد الشيعة عموماً. وهذا هو الخطأ الذي حدث وترتبت عليه نتائج خطيرة أبسطها الشرخ الذي حدث بين أهل السنة والشيعة المعتدلين بينما تجمعهم أسباب كثيرة من الإيمان بالأصول وعدم الاختلاف على شيء منها.

□□□

ومن الأفكار الغريبة التي نقلها غلاة الشيعة عن عقائد وثنية قديمة أفكار رجل اسمه عبدالله بن معاوية ادعى أن الله نور، وأنه هو (أى عبدالله بن معاوية) هذا النور، وقال: من عرف الإمام فليصنع كما يشاء. وبهذه الإباحية جذب إليه الشواذ، فأقام مجتمعاً إباحياً، ولم يتبعه الشيعة الحقيقيون، وقتله الحاكم الأموي، وكانت آراؤه تتلخص في أن الله نور، وأن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص، وأن روح الله تناسخت، كانت في آدم، ثم دارت في الأنبياء إلى أن انتهت إلى الإمام عليّ، ثم دارت في أولاده حتى وصلت إليه (عبدالله بن معاوية)، ولهذا فإن فيه الألوهية والنبوة معاً، وهو يعلم الغيب، والعلم ينبت في قلبه، وأما الثواب والعقاب فهما من نصيب الإنسان أو الحيوانات، والتناسخ يكون في الدنيا، والعقاب في هذه الأشخاص، وتأويل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يأكل، ووصل إلى الكمال، وقالوا إن تناسخ أرواحهم جعلتهم مع نوح عليه السلام في السفينة، فهم (أصحاب السفينة)، وهم مع كل نبي في عصره وزمانه، وهم مع النبي محمد ﷺ، ولهذا فهم أصحاب الرسول ﷺ) ويزعمون أن أرواحهم فيه، ويتأولون الحديث الشريف: (إنما الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف) فيقولون: (نحن نتعارف كما قال الإمام عليّ عليه السلام وكما روى النبي ﷺ) ويقولون: إنه على قدر طاعة الإمام يكون تناسخ

الروح، فمن أخلص في طاعته تكن روحه في الدواب التي تحظى بالرعاية مثل خيول الحكام التي تحظى بالسروج المحلاة، ومن لا يخلص في طاعته للإمام تدب روحه في دواب ضالة أو مهملة، وتبقى الأرواح تتناسخ في الحيوانات ألف سنة، ثم تعود إلى صورة الإنسان مرة أخرى، وهذا امتحان لها على مدى طاعتها للأئمة (!) أما الكفار والمشركون والمنافقون والعصاة، فينتقلون في أجسام مشوهة عشرة آلاف سنة..

أفكار كثيرة غريبة، لا معقولة، لا يمكن أن يرددها عاقل ولا أن يصدقها من لديه أبسط معرفة بالإسلام، ومع ذلك فقد آمن بها البعض، وادعوا أنهم من فرق الشيعة، وحتى بعد أن قتل عبدالله بن معاوية استمرت هذه الأفكار يرددها عبدالله ابن الحرث الذي أباح لأتصاره الخمر والميئة والزنا وسائر المحرمات، وأسقط التكاليف والعبادات.. وهكذا ظهرت على مدى التاريخ فرق كثيرة رددت أفكارا غريبة عن الإسلام.. أفكاراً منقولة من عقائد وديانات وثنية. ووصل الأمر إلى حد ظهور فرقة اسمها (الجناحية) مهدت السبيل لرجل اسمه بابك الخزمي وصل إلى آخر ما يمكن الوصول إليه من الإباحية واستحلال قتل المسلمين، وقد سادت هذه الفرقة فترة من الزمن في عهد العباسيين.

إنذن فإن فكرة استحلال قتل المسلمين لها جذور في هذه الفرق الغريبة التي تدعى أنها فرق إسلامية (!) واستعراض تاريخ هذا الاستحلال يدل على أنها فكرة دسها في الأصل أعداء الإسلام لهدم الإسلام وزعزعة وحدة المسلمين.

□□□

وبحدثنا الدكتور النشار أيضا عن شخصية تمثل أبشع صورة من صور الغلو، أقلقت مضجع الدولة، كما أقلقت الإمام جعفرًا الصادق - إمام الشيعة المعتدلين - الذي كان يلقي دروسه في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة. أما

هذه الشخصية فهي شخصية أبى الخطاب الأسدى (المقتول سنة ١٢٨ هجرية) وقد نشأ فى الكوفة، وتردد على الإمام جعفرًا الصادق وأخذ عنه، ثم ادعى أن الإمام جعفرًا الصادق قال له: أصبحت غيبة علمنا، ومعدن سرنا، ومجمع أمرنا ونهينا، ومؤدب المؤمنين بأدينا، أنت الباب الذى يؤدى إلى علمنا، وفيك ينبأ علم التأويل والتنزيل وباطن السر وسر السر...!! وقيل: إن هذه الأقوال عرضت على الإمام جعفر الصادق نفسه فكذبها وأنكرها، بل يذكر أن الإمام جعفرًا الصادق قال عنه: (اللهم العن أبا الخطاب، اللهم أذقه حر الحديد) .

ولكن أبا الخطاب حين عاد إلى الكوفة نشر مبادئه وكوّن فرقة التفتت حوله وآمنت بدعوته، وكان الرجل على مهارة وذكاء ودقة فى تنظيم الدعوة، فكان يدعو فى البداية باسم الإمام جعفر الصادق، وينسب العلم بالغيب إلى الإمام جعفر الصادق، فلما تبرأ منه الإمام جعفر الصادق ولعنه، وأعلن رفضه لنسبة العلم بالغيب إليه، تحول أبو الخطاب إلى ادعاء النبوة، واستحل المحارم كلها ورخص فيها، وكان أصحابه كلما ثقل عليهم أداء فريضة سألوه وقالوا: يا أبا الخطاب خفف علينا، فيأمرهم بترك الفريضة! حتى تركوا جميع الفرائض! وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور، وقال: من عرف الإمام فقد حل له كل شىء كان محرما عليه. وادعى أنه يعرف الاسم الأعظم لله، ثم ادعى النبوة، ثم ادعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم!

هكذا وصل الأمر بهذا الرجل الذى ادعى الإسلام، وادعى أنه ممثل لإمام الشيعة المعتدلين جعفر الصادق، وصل به الأمر إلى أن أحل الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وترك الصلاة والصيام والحج، وإباح الشهوات بعضهم لبعض، وأمر أصحابه: من سأله أخوه أن يشهد له على مخالفته فليشهد له فإن ذلك فرض واجب، وأساء تفسير الآية الكريمة: ﴿رُبِدُّ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ (النساء آية ٢٨) على أن المقصود بها التخفيف بترك الصلاة والزكاة والحج لكل من عرف الإمام!

مثل هذا المجتمع الباطني السري الإباضي الذي نظمه أبو الخطاب كيف ينسب إلى الإسلام وإلى الشيعة، وقد وصل به الأمر إلى القول بأن الأئمة هم أنبياء، ثم انتهى به الأمر إلى القول: بأن الأئمة آلهة!

وزعم أن جعفرًا الصادق هو الإله في زمانه! وأنه نزل إلى هذا العالم في صورة إنسان ليراه الناس! ونشر في أتباعه فكرة ملخصها أنهم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سُوِّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾ (الحجر آية ٢٩) فقال إن المقصود آدم، ونحن-الخطابية- أولاده، وقيل: إن الخطابية عبدوا أبا الخطاب، وزعموا أنه إله، وزعموا أن جعفرًا الصادق هو الآخر إله إلا أن أبا الخطاب أعظم منه وأعظم من الإمام عليّ ذاته، وادعى أبو الخطاب أنه يمكن أن يظهر في أية صورة شاء، وروى أصحابه عنه الأساطير ومنها أن رجلا سأله وهو في المدينة فأجابه ثم انصرف ليظهر في الكوفة.

كل ذلك نجده في الكتب القديمة، فهل يمكن أن يقنع ذلك إنسانًا عاقلًا؟  
الدكتور النشار يشكك في صحة هذه الحكايات التي تروى عنه، على رغم أن البعض يتمسك بها ويرويها على أنها أفكار الخطابية، وقد يزيدون من عندهم أن هذه أفكار الشيعة، أما الدكتور النشار فيرى أن أبا الخطاب الأسدي هذا كان له مقام كبير في تاريخ الشيعة الغلاة والإسماعيلية، وإن كانت هناك فرق أخرى قد ظهرت تنتسب إليه وتردد هذه الأفكار الغريبة عن الأئمة والنبوة والألوهية والعلم بالغيب.



والخلاصة أن كل من يريد الإساءة إلى الإسلام وإلى الشيعة ينبش في بطون الكتب ويردد ما فيها من أحاديث أشخاص و فرق غريبة تشبه ما يظهر في عصرنا الحديث من فرق شاذة، ولعلنا نذكر الجماعات التي ظهرت في الولايات المتحدة وادعى زعمائها أنهم أنبياء وآلهة، ووضعوا لاتباعهم صلوات وطقوساً خاصة بهم،

بل وفرض أحدهم على أتباعه أن يحرقوا أنفسهم لينتظروا من دنس الحياة الدنيا واحترقوا فعلا.. ولعلنا نذكر جماعة عبدة الشيطان في أمريكا وغيرهم.. وما أكثر ما يذكر التاريخ القديم والحديث في القارات الخمس من أمثال هذه الفرق الغريبة. الشذوذ ظاهرة موجودة في كل زمان ومكان.. وفي اتباع كل الديانات فلماذا التركيز على الشواذ الذين نسبوا أنفسهم إلى الإسلام وإلى الشيعة وحدهم؟ هذا هو السؤال الذي يحتاج إلى إجابة.

ولمن يريد أن يعرف أكثر عن هذه الفرق وأمثالها أن يعود إلى كتاب الدكتور النشار ففيه تفصيلات تفوق الخيال وتدل على أن الإسلام تعرض لمؤامرات وتضليل أكثر مما تتصور.. ومع ذلك فإن الله صدق وعده.. فهو الذي أنزل الذكر الحكيم.. وهو الذي تكفل بحفظه.. ووعد بحماية دينه الحق من كل كيد وانحراف.



يظلم الإسلام من يحسب هذه الفرق على الإسلام، ويظلم الشيعة من يحسبهما على الشيعة، وإنما هذه جماعات تظهر في كل الأديان، وفي كل العصور، لا يرضيهم الإيمان البسيط، ويسعون إلى أفكار غريبة وأسطورية وبعيدة عن العقل، ويجدون الإغراء في غرابة هذه الأفكار ويجذبون بها أمثالهم من الباحثين عن الأفكار والمعتقدات الغريبة.

وفي نفس الوقت يجب ألا ننسى أن هناك كثيرين من أصحاب الديانات والعقائد المخالفة للإسلام دخلوا في الإسلام وأكثرهم اعتنق الإسلام عن اخلاص، وبعضهم الآخر إدعى الإسلام بقصد محاربتة وتخريبه من الداخل، وبعضهم أسلم ولكنه ظل — ربما بحسن نية — محتفظا بمعتقداته الدينية الغريبة ولم يستطع التخلص منها فأراد أن يوفق بين الإسلام وبين هذه العقائد فنشر أمثال هذه الأفكار التي كانت مسخا للإسلام، وإساءة إليه ربما بحسن نية.

ومع ذلك يجب أن نظل متذكرين أن هذه الأفكار لم تعد منتشرة، وهي تنتمي إلى الماضي، وإن كان البعض يحرص على أن يستخرجها من الكتب القديمة للإساءة إلى الإسلام وإلى الشيعة. أما بقية الفرق التي تعتبر من غلاة الشيعة والتي ما زالت باقية فهي فلول قليلة العدد وقليلة التأثير.

وعلى ذلك فإن أهل السنة والشيعة معا يجب أن يقوموا بحركة تجديد وإصلاح في الفكر لتنقية الفرق والكتب الشيعية مما لحق بها، وإعادة تقديم المذهب الشيعي في صورته الحقيقية النقية بعيدا عن الخرافات والأساطير والانحرافات الدخيلة عليه.

### □□□

هؤلاء المتطرفون أو المنحرفون - يجب ألا يدفَعونا إلى إغفال رجال عظام من أئمة الشيعة مثل علي زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق. وقد توفي علي زين العابدين في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هجرية فقال عنه عمر بن عبد العزيز: (ذهب سراج الدنيا، وجمال الإسلام، وزين العابدين) وقد ترك علي زين العابدين أولادا كثيرين منهم محمد الباقر، وزيد بن علي. ومما يدعو للاطمئنان أن عقلاء الأمة الإسلامية بدعوا يتحركون لكشف ماهو حق وما هو باطل مما ينسب إلى الشيعة، ويعملون بذلك على تضيق الفجوة المصطنعة بين أهل السنة والشيعة، وفي ذلك قوة للمسلمين. ونحن في وقت نحتاج فيه إلى ما يوحد وليس إلى ما يفرق بين المسلمين، بينما الخطر يتهدد الجميع.